الجزء الأوَّل

التَوقُ إلى الصلاة

الفصل ١

ضرورة الصلاة

"لن نصمدَ بغير ذلك!"

اكتشفتُ الصلاة في النصف الثاني من حياتي في مرحلة الرُّشد، وكُنت مُضطرًّا إلى ذلك.

في خريف عام ١٩٩٩م، درَّستُ منهجًا كتابيًّا عن سفر المزامير. وصار واضحًا عندي أنِّي بالكاد خدشتُ السطح في ما يخصُّ وصايا الكتاب المقدَّس ووعوده المتعلِّقة بالصلاة. ثمَّ أتت الأسابيع المُظلمة في نيويورك بعد ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، عندما غرقت مدينتنا في ما يمكن أن نسمِّيَه اكتئابًا إكلينيكيًّا عامًّا، حتَّى والمدينة كلُّها محتشدة لمواجهة هذا المصاب الجَلَل. وقد كان تأثير الأحداث مُضاعَفًا في أسرتي، حيث كانت زوجتي كاثي (Cathy) تصارع مع تأثيرات مرض كرون (Chron's Disease)، وأخيرًا، شُخِّصتْ إصابتي بسرطان الغدَّة الدرقيَّة.

في ذلك الوقت، حثَّتني زوجتي أن أفعل معها أمرًا لم نستطع قَطُّ أن نواظبَ على فعله معًا: أن نصلِّي معًا بانتظام. طلبتْ منِّي أن أصلِّيَ معها كلَّ ليلة- كلَّ ليلة. واستخدمَتْ عندئذٍ تشبيهًا بلْوَرَ مشاعرها جيِّدًا. وبحسب ما أتذكَّر كان ما قالته:

> "تخيَّل أنَّك أُصِبتَ بهذه الحالة المميتة وقال لك الأطبَّاء إنَّك ستموت في غضون ساعات إلَّا إذا تناولتَ دواءً معيَّنًا- حبَّة كلَّ

> ليلة قبل أن تُخلدَ إلى النوم. تخيَّل أنَّه قيل لك إنَّك إذا فوَّتَّ ليلةً واحدةً ستموت على الفور. هل ستنسى؟ هل ستراوغ لتتهرَّب في بعض الليالي؟ لا- سيكون مهمًّا جدًّا ألَّا تنسى. حسنًا، إذا لم نصلِّ معًا لله، لن نستطيع أن نصمدَ وسط كلِّ ما نواجهه. على الأقلِّ أنا. لن أستطيع أن أصمد. علينا أن نصلِّي. ليس أمامنا سوى أن نفعل ذلك".

ربَّما كان الأمر مرتبطًا بقوَّة التشبيه، أو بالتوقيت، أو ربَّما كان ذلك روح الله. أو في الأغلب، كان الروح القدس هو الذي يستخدم التوقيت ويُلهمُها ذلك التشبيه الواضح. الأكيد هو أنَّ الأمر صار محسومًا؛ إذ أدركنا مدى خطورة الأمر، واعترفنا أنَّ ما يُعدُّ ضرورةً غير قابلة للنقاش هو أمر نستطيع أن نفعله. كان هذا منذ أكثر من اثنتي عشرة سنة، ولا نستطيع، كاثي وأنا أن نتذكَّر أنَّنا فوَّتنا أمسية واحدة لم نصلِّ فيها معًا، وإن كان ذلك عبر التليفون، حتَّى وإن كنَّا على جانبَي الكرة الأرضيَّة.

كان التحدِّي القويُّ الذي قدَّمته كاثي، مع اقتناعي المتنامي أنِّي لم أفهم الصلاة جيِّدًا، هما الدافعان اللذان حفَّزاني لأبدأ في البحث. كنتُ أريد أن أصل إلى حياة صلاة شخصيَّة أفضل بكثير. فبدأت أقرأ بتوسُّع، وأمارس الكثير من التجريب في الصلاة. وكلَّما نظرت من حولي، أدركتُ سريعًا أنِّي لست وحدي.

"هل يمكن أن يعلِّمني أحدٌ كيف أصلِّي؟"

عندما كانت فلانري أوكونور (Flannery O'Connor) الكاتبة الجنوبيَّة المشهورة، في سنِّ الحادية والعشرين وتدرس الكتابة في أيوا، سعَتْ لأن تُعمِّق حياة الصلاة. وكان عليها أن تفعلَ ذلك.

في عام ١٩٤٦م، بدأت تحتفظ بيوميَّات صلاة مكتوبة بخطِّ اليد. وفيها كانت تصفُ صراعاتها لتصيرَ كاتبة عظيمة. "أريد بشدَّة أن أنجحَ في عالم الكتابة. أشعر

بالإحباط الشديد من عملي... «متوسِّط القيمة»- هذا تقييم يصعب أن أصف به نفسي...لكنَّ من المستحيل ألَّا أصف نفسي به...لا يوجد فيَّ ما أفتخر به؛ أنا غبيَّة، كغَباء هؤلاء الذين أسخر بهم". يمكن أن تجدَ مثل هذه الاعترافات في يوميَّات أيِّ فنان يتطلَّع إلى الأفضل، لكنَّ أوكونور فعلتْ أمرًا مختلفًا بهذه المشاعر. لقد كانت تُصلِّي بها. وهي هنا طَرَقت دربًا قديمًا جدًّا، طَرقه من قبلها ناظمو المزامير، الذين ليس فقط تعرَّفوا مشاعرهم وعبَّروا عنها، بل تعاملوا أيضًا مع هذه المشاعر بأمانة شديدة في محضر الله. كتبت أوكونور:

> "أنا مهتمَّةٌ بجهودي في فنِّ الكتابة أكثر من التفكير فيك والشعور بالإلهام بالمحبَّة التي كنتُ أتمنَّى أن تكون لديَّ من نحوك. إلهي العزيز، لا أستطيع أن أحبَّك كما أتمنَّى ذلك. إنَّك هلال القمر الرفيع الذي يُضيء ظلمةَ السماء، وذاتي هي ظلُّ الأرض الذي يحجب عنِّي القمر المُنير...إنَّ ما أخاف منه يا إلهي الحبيب، هو أن ينموَ ظلُّ ذاتي فيُغطِّيَ تمامًا القمر الكامل، وعندئذٍ أحكُمُ على نفسي بالظلِّ (وهو لا شيء) بدلَ النُّور (وهو كلُّ شيء). أنا لا أعرفك يا ربّ؛ لأنِّي أنا مَن يقفُ في طريق هذه المعرفة".[1]

هنا أدركت أوكونور ما كان قد رآه القدِّيس أغسطينوس بوضوح وسجَّله في مُذكِّرات صلاته، "**الاعترافات**" *(Confessions)*: أنَّ الحياة السليمة تعتمد دائمًا على إدراكنا وتسجيلنا لحقيقة ما نحبّ. أن نُحبَّ نجاحَنا أكثر من الله ومن القريب يُقسِّي قلوبنا، ويجعلنا أقلَّ قدرةً على الإحساس والإدراك. وهذا يجعلنا فنَّانين أردأ. ولأنَّ أوكونور كانت كاتبة تمتاز بمواهب استثنائيَّة؛ وكان يمكن جدًّا أن تصير متعالية ومحصورة في ذاتها، كان رجاؤها الوحيد هو الصلاة التي تساعدها دائمًا على تصحيح توجُّه قلبها. "يا ربّ، أرجوك اجعل عقلي صافيًا ونظيفًا...ساعِدْني أن أدخلَ عُمقَ الأمور وأكتشفَ أين تكون".[2]

وكانت تتأمَّل في الانضباط الذي ألزمَتْ نفسَها به: أن تكتبَ صلواتها في هذه المذكِّرات. وأدركت أنَّ هناك مشكلة في الشكل. "لقد قرَّرت أنَّ هذا ليس وسطًا مباشرًا للصلاة. إنَّ الصلاة أكثر تلقائيَّة من الكتابة- إنَّها صرخةُ قلبٍ لحظيَّة وهذه الكتابة بطيئة جدًّا الآن".[٣] ثمَّ بدأ يعتريها القلق ألَّا يكونَ ما تكتبه بالفعل صلوات، بل مجرَّد تنفيس عن مشاعرها. "أريد لهذا أن يكون...أمرًا أعبد به الربّ. ربَّما يكون هذا الذي أكتبه مجرَّد علاج نفسيٍّ ذاتيّ...لأنَّ أغلب أفكاري تدور حول نفسي".[٤]

لكنَّها مع هذه المذكِّرات كانت تعتقد: "لقد بدأتْ مرحلةٌ جديدةٌ من حياتي الروحيَّة...التخلُّص من بعض عادات المراهقة، وعادات التفكير القديمة. لا يحتاج الأمر إلى الكثير من التأمُّل ليُدرك كم نحن حمقى، لكنَّ هذا التأمُّل البسيط كثيرًا ما يتأخَّر في الوصول إلى أذهاننا. أنا أرى كيف أنَّ نفسي مثيرةٌ للسُّخرية إلى حدٍّ بعيد".[٥] لقد تعلَّمتْ أوكونور أنَّ الصلاة ليست مجرَّد ذلك الاستكشاف الشخصيِّ للذَّات. ففي الصلاة تكون في حضورِ آخرَ، وهو شخصٌ فريدٌ جدًّا. الله هو الشخص الوحيد الذي لا تستطيع أن تخفيَ عليه شيئًا. ولا تستطيعُ أمامه أن تتجنَّب أن ترى نفسك في ضَوءٍ جديدٍ وفريد. فالصلاة إذًا تقودُ إلى معرفة النفس بصورةٍ لا يمكن الحصول عليها بأيِّ شيءٍ آخر.

لقد كان من أبرز ما يميِّز مذكِّرات أوكونور أنَّها كانت تعكسُ تَوقًا بسيطًا لتعلُّم الصلاة الحقيقيَّة. لقد وصلَتْ بحدسها المباشر أنَّ الصلاةَ هي مفتاح كلِّ شيء آخر كانت تحتاجُ لأن تفعلَه وأن تكونَه في هذه الحياة. لم تكنْ راضية بالطقوس الدينيَّة القديمة البسيطة التي كانت تمارس آليًّا. "لا أقصد أن أنكرَ الصلوات التقليديَّة التي كنتُ أردِّدها طَوالَ حياتي، لكنِّي كنتُ أردِّدُ هذه الصلوات دون أن أشعرَ بها. كثيرًا ما يتشتَّت انتباهي ويهيم. أمَّا بهذه الطريقة فأستطيع أن أركِّز انتباهي في كلِّ لحظة. أستطيع أن أشعرَ بدفء الحبِّ ينبضُ داخلي، بينما أفكِّر وأكتب هذه الكلمات إليك يا ربّ. من فضلك لا تجعل تفسيرات اختصاصيِّي

علم النفس تحوِّل هذه الخواطر بغتةً إلى كلمات باردة تتمحور حول نفسي".[٦]

في نهاية إحدى فِقرات مذكِّراتها، نادت ببساطةٍ قائلة: "هل يمكن أن يعلِّمني أحدٌ كيف أصلِّي؟"[٧] إنَّ ملايين البشر يطرحون اليوم السؤال نفسه. إنَّ هناك شعورًا بالاحتياج إلى الصلاة- ينبغي أن نصلِّي. لكن كيف؟

مشهد مُحيِّر

هناك اهتمامٌ متَنامٍ في المجتمع الغربيِّ بالروحانيَّة والتأمُّل والصلاة. وقد بدأ هذا الاهتمام منذ نحوِ جيلٍ مضى، ربَّما كان مدفوعًا باهتمام إحدى الفرق الموسيقيَّة الشهيرة جدًّا في ذلك الوقت "البيتلز" (The Beatles) بالأشكال الشرقيَّة من التأمُّل، وقد تزامن ذلك مع تَناقُصِ تأثير المؤسَّسات الدينيَّة. كان عدد الذين يمارسون الطقوس الدينيَّة دوريًّا يتناقص بشدَّة، إلَّا أنَّ نوعًا من الاشتياق الروحيِّ ظلَّ موجودًا. واليوم نجد أنَّ ذهاب الغربيِّين سنويًّا إلى الهند لتمضية خلوات روحيَّة من التأمُّل الشرقيِّ هو أمرٌ معتاد جدًّا.[٨] ومؤخَّرًا غَرَّدَ روبرت مردوخ (Rupert Murdoch) أنَّه كان يدرس التأمُّل المتسامي، فقال: "الكلُّ ينصحون به"، وأضاف: "ليست البداية سهلة، لكنَّهم يقولون إنَّهُ يُحسِّن من كلِّ شيء في حياتك".[٩]

وفي داخل الكنيسة أيضًا، ظهرَ ما يشبه الانفجار في الاهتمام بالصلاة. وهناك حركة قويَّةٌ في اتِّجاه أساليب الصلاة والتأمُّل وممارساتها. والآن لدينا إمبراطوريَّة صغيرة من المعاهد والمؤسَّسات والهيئات والشبكات والممارسين الذين يعلِّمون أساليب الصلاة ويدرِّبون عليها مثل الصلاة المركَّزة، والصلاة التأمُّليَّة، وصلاة "الإصغاء"، والقراءات الروحيَّة (Lectio divina)، وغيرها الكثير ممَّا يُدعى الآن "التدريبات الروحيَّة".[١٠]

لكنْ لا يسعُنا أن نحسبَ كلَّ هذا الاهتمام مجرَّد "موجة" مترابطة، بل هو مجموعةٌ من التيَّارات المتداخِلة التي تجعلُ المياه مضطربةً وخَطِرة للكثير من

الباحثين والمتسائلين. لقد كان هناك دائمًا الكثير من الانتقادات والمراجعات موجودة ضدَّ هذا التأكيد الجديد على مثل هذه الروحانيَّة التأمُّليَّة، في الكنيستَين الكاثوليكيَّة والپروتستانتيَّة على حدٍّ سواء.[١١]

وعندما بدأت أبحث عن مصادر لمساعدتي في حياة الصلاة الخاصَّة بي وبآخرين، فهمتُ كيف أنَّ المشهد مُحيِّر.

نُسكٌ عقلانيّ

كان طريق التقدُّم نحو الأمام لي هو العودة إلى جذوري الروحيَّة اللاهوتيَّة. في أثناء رعويَّتي الأولى في ڤيرجينيا، ثمَّ بعد ذلك في نيويورك، خُضتُ خبرةَ أن أعظ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية. في منتصف الأصحاح الثامن من هذه الرسالة يكتب الرسول:

> "إذ لم تأخُذوا روح العُبوديَّة أيضًا للخَوف، بل أخذتُم روحَ التبنِّي الذي به نصرُخُ: «يا أبا الآبُ». الرُّوحُ نفسُه أيضًا يشهدُ لأرواحنا أنَّنا أولادُ الله. فإنْ كنَّا أولادًا فإنَّنا ورثةٌ أيضًا، ورثةُ الله ووارثون مع المسيح. إنْ كنَّا نتألَّمُ معه لكي نتمجَّد أيضًا معه" (رومية ٨: ١٥-١٦).

إنَّ روح الله هو الذي يؤكِّد لنا محبَّته. أوَّلًا يُمكِّننا الروح أن نقترب ونصرخ إلى الله العظيم بوصفه أبانا، كما أنَّه (أي الروح القدس) يساند أرواحنا ويقدِّم إلينا في أعماقنا شهادةً أقربَ وأكثر مباشَرة. أوَّل مرَّةٍ أتَقابل مع هذه الآيات كانت بقراءتي لعِظاتِ الدكتور مارتن لويد جونز (Martyn Lloyd-Jones)، وهو واعظٌ وكاتبٌ بريطانيٌّ من منتصف القرن العشرين. كان جونز يقترح أنَّ بولس كان يكتب من منطلق خبرةٍ عميقةٍ عن حقيقة الله في حياته.[١٢] في الواقع، وجدتُ أنَّ أغلبَ المفسِّرين المعاصرين اتَّفقوا على أنَّ هذه الأعداد تصف، كما يكتب أحد دارسي

العهد الجديد، "اختبارًا دينيًّا لا تصفُه كلمات". ذلك لأنَّ الاطمئنان إلى محبَّة الله هو أمرٌ "صوفيٌّ تنسُّكيّ، على أفضل ما تدُلُّ الكلمة". ويضيف توماس شراينر (Thomas Schreiner) أنَّنا يجب "ألَّا نُقَلِّل من التركيز على الخلفيَّة الوجدانيَّة" لهذا الاختبار. "يميل بعض الناس إلى تجاهُل هذه الفكرة بسبب ذاتيَّتَها، غير أنَّ إساءة استخدام كلِّ ما هو ذاتيٌّ في بعض الدوائر لا يُسوِّغ استبعاد الأبعاد الوجدانيَّة من الاختبار المسيحيّ".[١٣]

كما قادني تفسيرُ لويد جونز أيضًا إلى كتَّاب كنتُ قد قرأتُ لهم في كلِّيَّة اللاهوت، مثل مارتن لوثر وجون كالڤن وجون أوين (John Owen)، والفيلسوف واللاهوتيِّ الأميركيِّ من القرن الثامن عشر جوناثان إدواردز (Jonathan Edwards)، وهناك اكتشفتُ أنَّه لا يوجد اختيار ما بين الروح والحقّ، أو بين العقيدة والاختبار. وأحد أهمِّ اللاهوتيِّين الأقدمين- جون أوين- كان مفيدًا لي بصورةٍ خاصَّة في هذه النقطة. ففي عِظة عن الإنجيل، ركَّز أوين على وضع الأساس العقائديِّ للخلاص المسيحيّ. ثمَّ كان يُشجِّع سامعيه قائلًا: "يجب أن تنالوا اختبار قوَّة الإنجيل...في قلوبكم، وإلَّا فإنَّ اعترافَكم العقليَّ بحقِّ الإنجيل سيفقدُ صلاحيَّته بعد حين".[١٤] ولا يمكنُ أن يَحدثَ الاختبارُ القلبيُّ لقوَّة الإنجيل سوى بالصَّلاة- سواءٌ الصلاة العلنيَّة وسط جماعة المؤمنين أم الصلاة التأمُّليَّة الشخصيَّة.

وفي سعيي الشخصيِّ إلى حياةِ صلاةٍ أعمقَ، اخترتُ الطريق غير المطروق. فبشكلٍ مقصود تجنَّبت قراءة أيِّ كتب حديثة عن الصلاة. على العكس، عُدتُ إلى الخلف إلى النصوص التاريخيَّة للَّاهوت المسيحيِّ التي شَكَّلتني، وبدأتُ أطرحُ أسئلةً عن الصلاة واختبار الله- أسئلةً لم تدُر في ذهني بهذه الدرجة من الوضوح عندما كنتُ أدرس هذه الكُتُب في كلِّيَّة اللَّاهوت مُنذ عدَّة عقود. واكتشفت الكثير من الأشياء كانت قد فاتتني تمامًا. وجدتُ إرشادًا عن حياة الصلاة الداخليَّة، وحملَني هذا الإرشاد بعيدًا عن التيَّارات الخَطِرة للجدل المُعاصر حول الروحانيَّة

وحركاتها المختلفة. ومن الذين استَشَرتُهم، اللاهوتيُّ الاسكتلنديُّ أندرو موراي (Andrew Murray)، وقد أمدَّني بأحد أهمِّ التبَصُّرات على الإطلاق:

> من الضروريِّ لنا أن نُدرك أنَّ هناك "نُسكًا عقلانيًّا" في حياة الإيمان...للحياة في وحدة حيَّة، وشركة مستمرَّة مع الفادي المُمجَّد الحاضر معنا كلَّ حين...إنَّه يتواصل مع شعبه، وشعبه يتواصل معه في علاقة من المحبَّة الواعية الجادَّة المتبادَلة...لا يمكن أن تكونَ حياة الإيمان الحقيقيِّ حياةً باردةً كالمعدِن. يجب أن تحتوي على الدفء العاطفيِّ والحرارة الوجدانيَّة؛ لأنَّ التواصل مع الله هو تاج الإيمان الحقيقيِّ وقِمَّته الشامخة.[١٥]

لم يكن موراي من الكتَّاب الذين يميلون إلى جمال الأسلوب الأدبيّ، لكنَّه عندما يتكلَّم عن "النُّسك" و"التواصل" مع ذلك الذي مات وقام وهو حيٌّ إلى الأبد من أجلنا، فيفترض أنَّه ستكونُ للمسيحيِّين علاقةُ حبٍّ ملموسةٌ به، وستكون لهم إمكانيَّة المعرفة الشخصيَّة والاختبار الحيِّ لله على نحو يفوق التصوُّر. وهو دون شكٍّ يقصد الصلاة- لكنْ أيَّ صلاة يقصد؟ وسط الفقرة، يقتبس موراي من رسالة بطرس الرسول الأولى: "وإنْ كنتُم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به، فتبتَهِجون بفَرحٍ لا يُنطَقُ به ومجيد". يترجم بعض الأشخاص العبارة الأخيرة هكذا: "فرح مُمجَّدٍ مجدًا يفوق الكلمات".[١٦]

وعندما تأمَّلت في هذه الآية، تعجَّبت من أنَّ بطرسَ الرسول، وهو يكتب للكنيسة، يستطيع أن يخاطب كلَّ المؤمنين بهذه الطريقة. لم يقل مثلًا: "حسنًا، بعضٌ منكم ممَّن لهم روحانيَّة متقدِّمة سيبدأون في اختبار أوقاتٍ من الفرح الشديد في الصلاة. أتمنَّى أنَّ الباقين يستطيعون الاشتراك في ذلك أيضًا بمرور الوقت". لا! لقد افترض أنَّ اختبارَ الفرح في الصلاة، الذي يكون أحيانًا غامرًا، كان أمرًا اعتياديًّا. لقد اقتنعت.

وكان لعبارة أخرى ممَّا كتبه موراي صدًى عندي بصورةٍ خاصَّة. إنَّها عبارة "النُّسك العقلانيّ" (Intelligent Mysticism)، وهذا يعني لقاءً مع الله يتضمَّن ليس فقط عواطف القلب، بل أيضًا قناعات العقل. إنَّنا لسنا مدعوِّين لأن نختارَ ما بين حياة مسيحيَّة مبنيَّة على الحقِّ والعقيدة، وحياة من القوَّة الروحيَّة والخبرات الفائقة. فهما يمكن أن يكونا معًا، بل لا بدَّ أن يكونا معًا. أنا لم أُدعَ لأتركَ ورائي اللاهوت لأبحثَ عن أمرٍ آخر- عن اختبار روحيّ، بل أنا مدعوٌّ لأسألَ الروح القدس أن يساعدَني على اختبار اللاهوت الذي أومن به اختبارًا شخصيًّا.

تَعلُّم الصلاة

وكما كان صُراخ فلانري أوكونور اليائس: "كيف يمكننا فعلًا أن نتعلَّم الصلاة؟" أجريتُ في الصيف الذي تلى علاجي بنجاح من سرطان الغدَّة الدرقيَّة، أربعةَ تغييرات عمليَّة في حياة الصلاة الشخصيَّة. أوَّلًا، خصَّصتُ عدَّةَ شهورٍ لقراءة المزامير كلِّها، ولخَّصتُ كلَّ مزمور منها. ومكَّنَني هذا من أن أصلِّي المزامير كلَّها بصورةٍ منتظمة أكثر من مرَّة على مدار السنة.[١٧] الأمر الثاني هو أنِّي خَصَّصتُ وقتًا انتقاليًّا بين قراءتي للكتاب المقدَّس ووقت الصلاة. ثالثًا، حاولتُ بكلِّ طاقتي أن أصلِّي في النهار وفي الليل، بعد أن كنتُ أصلِّي في النهار فقط. رابعًا، بدأتُ أصلِّي وعندي توقُّعات كبيرة لاستجابة الصلاة.

مرَّ بعض الوقت قبل أن تؤتي هذه التغييرات الأربعة ثمارها، لكنْ بعدَ أن تأسَّستْ وتأصَّلتْ هذه الممارسات في حياتي، بدأت أرى بعض الاختراقات. فرغم الارتفاعات والانخفاضات منذ ذلك الوقت، فقد بدأتُ أختبر حلاوةً جديدةً في السيِّد المسيح، كما اختبرت مرارةً جديدةً أيضًا؛ لأنِّي بدأتُ أرى حقيقة قلبي أيضًا بصورة أوضح في نور الصلاة الحيَّة. بكلمات أخرى، كانت هذه أكثر خبرات الراحة في محبَّة الرَّبّ، فضلًا عن كونها خبرات الصراع الروحيِّ التي رأيتُ فيها الربَّ ينتصر على الشرِّ الذي في قلبي وفي العالم من حولي. وقد نما هذان النوعان

من الخبرات في الصلاة التي ناقشناها في مقدِّمة الكتاب، مثل شجرتَين توأمين متضافرتَين معًا. والآن أومن بأنَّ هذا هو ما ينبغي أن يكون. الواحدة تستثير الأخرى فتنموان معًا، والنتيجة حيويَّةٌ روحيَّةٌ وقوَّةٌ لم أختبرها من قبل طَوال أوقات وعظي وتعليمي. أمَّا باقي الكتاب فهو سردٌ لكلِّ ما تعلَّمتُه في هذا المجال.

إنَّ الصلاة مع كلِّ هذا، هي أمر يصعبُ جدًّا الكتابة عنه. وليس هذا في المقام الأوَّل لأنَّها أمرٌ لا يمكن تعريفه، بل لأنَّنا نشعر أمامه بالصغر والعجز. لقد قال لويد جونز ذات مرَّة إنَّه لم يكتب عن الصلاة بتاتًا لأنَّه كان يشعرُ بحالةٍ من عدم الكفاءة لأن يكتبَ في هذا المجال.[١٨] لكنِّي أشكُّ أنَّ أيًّا من أفضل الكتَّاب عن الصلاة في التاريخ، شعروا بكفاءة أكثر ممَّا شعر لويد جونز. لعلَّ الكاتب البريطانيّ، وهو من حقبة أوائل القرن العشرين، پي. تي. فورسيث (P. T. Forsyth)، يعبِّر عن هذه المشاعر بطريقة أبرع من طريقتي:

> "من الصعب، بل من الرهيب، أن يكتبَ المرء عن الصلاة. إنَّها رهبةُ مَن يهمُّ بلَمسِ تابوت العهد...لكنَّه ربَّما ينظر إلى المجهود المبذول بنعمه؛ فهو الذي عاش دائمًا ليرفعَ تضرُّعات هي في حدِّ ذاتها صلوات لنعرف كيف نصلِّي".[١٩]

الصلاةُ هي المدخل الوحيد إلى المعرفة الحقيقيَّة للنفس. وهي الطريقُ الأساسيُّ نحو اختبار التغيير الأصيل والعميق وإعادة ترتيب محبَّاتنا للأمور المختلفة. والصلاة هي الطريقة التي يُغذقُ بها الله علينا الكثير من العطايا تفوق تصوُّراتنا، والتي يريدُ أن يمنحنا إيَّاها. في الواقع، الصلاة أيضًا هي الطريق إلى معرفة الله، والطريق الذي نعاملُ به الله بحسب مكانته الحقيقيَّة أنَّه الله فعلًا. الصلاة ببساطة هي مفتاح كلِّ شيء نريد أن نكونَه ونفعلَه في هذه الحياة.

يجب أن نتعلَّم أن نصلِّي. وليس أمامنا خِيار.